الموروث الثقافي وعلاقته بالدراسات التاريخية والأثرية في الجبل الغربي (193 – 222 الزنتان نموذجاً)

د. توفيق مسعود راشد
قسم التاريخ - كلية الآداب الأصابعة – جامعة غريان

الملخص:

تناولت هذه الدراسة الموروث الثقافي ،الذي كان شاهداً على حياة الإنسان وحضارته في تلك المناطق، التي ظهرت فيها وهي خير دليل على حياة الإنسان إلى جانب علاقتها بالتواجد الأجنبي في تلك المناطق، سواء أكان ذلك التواجد إغريقي أو فينيقي أو روماني، وقد أسهم المورث الثقافي في صنع تاريخ الحضارة من جميع جوانبها السياسية والاقتصادية والثقافية ويتضح ذلك جليًا فيما خلفه إنسان ذلك العصر من مخلفات أثرية منها على سبيل المثال المخربشات والرسوم والنقوش والأبنية والقبور وغيرها ،فالتاريخ والآثار توأمان متصلان ببعضهما لكشف الحقائق المخفية عن الكثير فلا يوجد بين التاريخ والآثار حواجز أو فوارق وتعد المخلفات الأثرية الممتدة من الحمادة الحمراء إلى الحدود المتاخمة للصحراء الليبية من أهم المخلفات الأثرية في العالم القديم وأكثرها اتساعاً وأهمية؛ لأنها بمثابة مجموعة من الأحزمة لمحاولة فصل الجنوب على الشمال والغرب ولذلك كانت محل اهتمام الرومان أثناء محاولتهم السيطرة على تلك المناطق.

من هنا جاءت هذه الفكرة لدراسة بعض المواقع الأثرية والأهداف التي وجدت من أجلها، وهل حققت تلك المواقع أهدافها؟ ونظراً لتعدد المواقع الأثرية في الجبل الغربي سيكون حديثنا على بعض المواقع الأثرية المهمة في مدينة الزنتان (ثنتيوس Thenteos) ومنها بعض القصور والحصون التي تمتد على خط واحد ، وقد توصلت الدراسة إلى نتائج أهمها: أن هذه المواقع الأثرية كانت على خط واحد، وجلها قد شيد على الأودية والمناطق الزراعية ومناطق تواجد المياه ،وإن هذه المواقع الأثرية كانت لأهداف عسكرية بالدرجة الأولى ثم الاقتصادية للسيطرة على طرق القوافل التجارية وسيتم التحدث بالتفصيل عن ذلك من خلال هذا البحث.

Summary;

This study dealt with the cultural heritage that was a witness to human life and civilization in those regions in which it appeared and it is the best evidence of human life in addition to its relationship with the foreign presence in those regions, whether that presence was Greek Phoenician, or Roman. And the in heritor has contributed to all its political, economic and cultural aspects. This is evident from archaeological remains, including for example, scribbles newspaper History and antiquities are twins connected to each other to reveal many truths. There are no barriers or differences between History and antiquities, and the extensive archaeological remains are considered the Reveal the facts.

Hidden from many there are no barriers or differences between History and antiquities. The archaeological remains extending from Hamada al- Hamra to the borders adjacent to the Libyan Desert are among the most important archaeological remains in the ancient world and the most extensive and important because it's like aset of belts to trying to separate the south from the north and the west. therefore they were the subject of interest of the Romans during they are trying to control those areas from here came the idea to study some goals for which they were found. did these sites achieve their goals ? cairn the multiplicity of archaeological sites in the western mountain, our discussion will be a bout some of the important archaeological sites in the city of Zintan(Thenteos) in cluding some palaces and the for tesses.

The study reached results the most important of which are ; that these archaeological sites were on line and most of them were bilit on valleys agricultural areas and water areas and that these archaeological sites were primarily purposes then economic ones to control trade caravan routes and this will be in this research .

المقدمـــة:

تناولت هذه الدراسة الموروث الثقافي الذي يمثل الصورة الشاملة التي كانت عليها حياة الإنسان وحضارته في تلك المناطق، وقد تعددت التسميات للموروث الثقافي من عادات وتقاليد ولغة إلى مفاهيم أخرى ،منها الإرث المادي الذي يمثل الحصون والقلاع التي ورثها الليبيون من الشعوب الأخرى، التي استوطنت الأراضي الليبية، وهذا ما يهمنا

في هذا البحث وتشير الأدلة الأثرية إلى وجود العديد من القلاع والحصون التي تعد شاهدا على أحداث تلك العصور الغابرة ،ومنها نستمد معلوماتنا التاريخية وعلاقتنا بالحضارات القديمة، ولها علاقة وثيقة بتاريخنا القديم ،وتعد مصادر أصلية، وهي خير دليل على حياة الإنسان القديم، ولا زال ذلك الموروث حاضرا موجودا في جديدة، وقد حمل الهوية الثقافية الليبية وعلاقتها بالتواجد الأجنبي واحتكاكها سلبا وإيجابا مع ذلك المستعمر لتلك المناطق سواء أكان ذلك التواجد إغريقي أم فينيقي أم روماني، وقد أسهم المورث الثقافي في صنع تاريخ الحضارة من جميع جوانبها السياسية والاقتصادية والثقافية، ويتضح ذلك جلياً فيما خلفه إنسان ذلك العصر من مخلفات أثرية، منها على سبيل المثال المخربشات والرسوم والنقوش والأبنية والقبور وغيرها فالتاريخ والآثار توأمان متصلان يبعضهما؛ لكشف الحقائق المخفية والغموض لأحداث تاريخية كانت موجودة فلا يوجد بين التاريخ والآثار حواجز أو فوارق، وتعد المخلفات الأثرية الممتدة من الحماده الحمراء إلى الحدود المتاخمة للصحراء الليبية من أهم المخلفات الأثرية في العالم القديم وأكثرها اتساعاً وأهمية؛ لأنها بمثابة مجموعة من الأحزمة لمحاولة فصل الجنوب على الشمال والغرب من جانب التواجد الأجنبي، ومحل اهتمام الرومان أثناء محاولتهم السيطرة على تلك المناطق.

من هنا جاءت الفكرة لدراسة بعض المواقع الأثرية والأهداف التي وجدت من اجلها وهل حققت تلك المواقع أهدافها؟ ونظراً لتعدد المواقع الأثرية في الجبل الغربي؛ سيكون حديثنا على بعض المواقع الأثرية المهمة في مدينة الزنتان (ثنتيوس Thenteos) ومنها على سبيل المثال بعض القصور والحصون التي تمتد على خط واحد ، وقد توصلت الدراسة إلى نتائج أهمها : إن هذه المواقع الأثرية كانت على خط واحد وجلها قد شيد على الأودية والمناطق الزراعية ومناطق تواجد المياه وإن هذه المواقع الأثرية كانت بالدرجة الأولى لأهداف عسكرية لمراقبة هجمات القبائل على القوات الرومانية ثم السيطرة الاقتصادية على طرق القوافل التجارية ،وسيتم التحدث بالتفصيل عن ذلك من خلال هذا البحث.

كان من أهم الأماكن التي حرص الرومان على إنشاء محطات ومراكز فيه؛ المراقبة تحركات القبائل الليبية التي تهاجم الرومان في المناطق الصحراوية منطقة الجبل الغربي ؛ نظرا لموقعها الجغرافي المهم بين غرب ليبيا وشرقها بالإضافة إلى أنها تعد بوابة للجنوب الليبي؛ التي منها ينطلق الرومان ثم بعدها نحو أواسط إفريقيا ، ليس هذا فحسب، بل كان الهدف من تلك المحطات والمراكز هو السيطرة على الأراضي الزراعية من ناحية، ومراقبة طرق التجارة البرية القادمة من أواسط إفريقيا ومعرفة مصدر البضاعة الصحراوية من ناحية أخرى، و سرعان ما تحولت تلك المحطات إلى أماكن ثابتة للإقامة عندما نجحت في تحقيق أهدافها كالحد من هجمات القبائل الليبية، ووصول السلع التجارة إلى إقليم المدن الثلاث، وقد جاء ذكر تلك المحطات لدى الكتاب القدامى والمؤرخين المحدثين.

ذكرت الوين بروقان إن نظام المحطات ومراقبة الطرق كان قادرا على صد هجمات القبائل الليبية في العصر الروماني من حيث المواقع المهمة التي اختارها الرومان لإنشاء تلك المحطات وصلابة دفاعاتها ، وقد شيدت تلك المراكز والمحطات تحت إشراف مهندسين عسكريين رومانيين، كانوا تابعيين للجيش الروماني ، ويظهر ذلك جليا من خلال الكتابات اللاتينية التي وجدت على مداخلها وأغلب الظن أنهم كانوا من الجنود المتقاعدين من الخدمة العسكرية بعد انتهاء خدمتهم في الجيش الروماني حيث منحت لهم أراضي زراعية ومواش وغيرها ، والذي أطلق عليهم فيما بعد (الليميتاني Limitanei) وقد ربطت تلك المحطات بشبكة من الطرق منها ما تم صيانته، والبعض الآخر تم تشييده من قبل الرومان وقد استخدمت تلك الطرق لأغراض عسكرية واقتصادية كان هدفها حماية القوافل التجارية القادمة من الجنوب باتجاه الشمال كما استخدمت هذه الطرق في نقل الأوامر والبريد من روما إلى تلك المناطق، ووضعت العيون

لمراقبة تلك الطرق ،وعدم تعرض التجارة البرية للقرصنة ، ربما اقتبس الرومان فكرتها من القرطاجيين الذين سبقوهم في هذا المجال كما أشار إلى ذلك ديودوروس الصقلي، الذي ذكر أن قرطاجة كان لها شوارع مرصوفة وقد قام الرومان بتحديد المسافات على هذه الطرق والفواصل بينها لكنها للأسف قد تكون معدومة بالنسبة لمناطق الجبل الغربي ربما كان ذلك بسبب الإهمال أو بسبب العوامل الطبيعة.

أولاً ـ أسباب اختيار الموضوع:

كانت الرغبة في اختيار هذا الموضوع لتوضيح السياسة التي اتبعها الرومان في ليبيا، وما تبعها من تسخير لإمكانياتهم العسكرية والمادية؛ لوقف هجمات القبائل الجنوبية، وتحالفها مع القبائل الشمالية ،التي كانت تشكل مصدر قلق للرومان إلى جانب محاولة الرومان السيطرة على الأراضي الزراعية وحمايتها ومنحها للجنود الرومان سواء أكانوا ليبيين حلفاء أو جنود رومان متقاعدين إلى جانب معرفة مصادر التجارة البرية، والسيطرة عليه، اوتحقيق أكبر قدر من الاستفادة منها.

ثانياً ــ أهمية الدراسة:

تبرز **أهمية الدراسة** في كونها تناقش موضوعا مهما من مواضيع التاريخ القديم وأنها تهتم بفترة مهمة من فترات التاريخ الليبي القديم وهي فترة التوسع الروماني للدواخل وانعكاساتها على السكان المحليين، وإقامة المحطات والمراكز؛ للإقامة فيها واهم الطرق التي سلكها الرومان لتحقيق أهدافهم، وما نتج عنه من تغير سياسي واقتصادي واجتماعي في ليبيا من خلال السياسة التي اتبعها الرومان في توطين المواطنين الرومان ،والسيطرة على الأراضي الزراعية، والدراسة لا تسعى إلى إعادة ترتيب الأحداث وسردها بقدر ما تسعى إلى الغوص في التفاصيل التي واكبتها والتغيرات التي حدثت بعدها، والأثر الذي تركته.

ثالثاً ـ أهداف الدراسة:

1- يسعى هذا البحث إلى دراسة الجوانب والآثار السياسية والاقتصادية والعسكرية من جراء إقامة المحطات ومراكز المراقبة في منطقة الجبل الغربي وانعكاساتها على السكان المحليين، الذين وقفوا في وجه التدخل الروماني بالثورات والمواجهات المسلحة ولم يستطيع الرومان التوغل في الدواخل إلا بطرق سلمية، وإقامة تلك المحطات والمراكز في فترة متأخرة جدا.

2- التعرف على أهم المواقع الأثرية الموجودة في منطقة الجبل الغربي موضوع الدراسة التي ما زالت باقية والتعرف عليها وتوضيح الأغراض التي أنشئت من أجلها.

3- التطرق إلى أهم الأسباب والدوافع التي أدت إلى قيام هذه المحطات والمراكز.

رابعاً ــ إشكالية الدراسة:

تتمحور في طرح أسئلة مهمة مفادها: ما هي الوسائل التي اتبعها الرومان وتمكنوا بعدها من السيطرة على الدواخل ثم المناطق الجنوبية ومنها إلى أواسط إفريقيا؟.

- هل كانت مهمة الرومان سهلة في السيطرة على دواخل ليبيا وجنوبها أم قوبل ذلك التدخل بالثورات والمواجهات لمنعهم من التوغل.
- ما الهدف الذي كان يسعى المستعمر الروماني لتحقيقه؟.

- هل كان هدف الرومان من إنشاء هذه المحطات تحسين أوضاع السكان المحليين في المنطقة أم لديهم نوايا أخرى؟. مثل السيطرة على الأراضي الزراعية لسد احتياجات روما من القمح والسيطرة على مصادر التجارة البرية بدل من استلامها على الساحل من قبائل الجر منت والوقوف في وجه ثورات القبائل.

خامساً ـ فرضيات الدراسة:

- سيعتمد الباحث على أن المحطات والمراكز الدفاعية التي أنشئت في الجبل الغربي كان هدفها سياسيا وعسكريا واقتصاديا بالدرجة الأولى، وتحقيق مكاسب تعود على الرومان بالنفع والفائدة.
- وجود مثل هذه المحطات والمراكز المتقدمة خلف المدن الثلاث دليلا على محاولة الرومان فصل الجنوب والغرب على الشمال، والحد من هجمات القبائل الجنوبية.
- إن ربط هذه المحطات والمراكز بشبكة من الطرق يعني أنها مهمة وذات موقع استراتيجي بالنسبة لهم وحتى يسهل التنقل بينها وإقامة العيون؛ لمراقبتها، وهذا يفسر بأنها ذات مورد اقتصادي مهم ومنطقة عبور لتجارة القوافل الصحراوية.

سادساًـ منهج الدراسة:

بما أن الدراسة تعد دراسة تاريخية في المقام الأول تناقش حدثا بني على ما قبله ،وصاغ ما بعده من وقائع تاريخية لذلك فان المنهج الذي يتبع في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي التحليلي؛ لحاجة بعض المعلومات إلى تفكيك و تحليل الباحث ورأيه في ذلك.

سابعاً ـ مجال الدراسة:

يغطي هذا البحث مجالاً جغرافياً قد لا يتفق مع التحديد الدقيق لمدينة الزنتان، وذلك تمشياً مع مجريات الأحداث التاريخية.

الأصل ومظاهر السطح للزنتان*:

يشير الزاوي إلى أن الزنتان تعرف باسم تاغرمين نسبة إلى المكان الذي نزلوا فيه، وهو الزنتان الحالية ،ويرجعون في أصولهم إلى قبيلة الدواشر في نجد التي ينتمي إليها أيضا قبائل الرجبان، وهم عصبة واحدة ، وتقع في جبل نفوسه، وهي من أكبر القبائل العربية، ولها شهرة واسعة وقرى كثيرة منها القريتان الغربية والشرقية وطبقة وهم من قبائل بني سليم الذين ينتمون إلى عدنان، وهم من عرب نجد في الحجاز، وجدهم الحسن بن المحسن الحجازي النجدي بن سليم بن منصور بن عكرمة، ويعدون من القبائل العربية المهاجرة من شبه الجزيرة العربية إلى الشمال الإفريقي[1].

لم تكن الحدود الغربية لليبيا معروفة قديما فقد كانت حدود المنطقة الغربية تمتد من شط الجريد بتونس غرباً حتى البحر المتوسط شمالاً أم الحدود جنوباً فتمتد حتى تصل إلى أراضي الجرمنت في الصحراء الكبرى، وشرقاً يحدها خليج سرت الكبير[1].

كانت البيئة الليبية قديماً تنقسم إلى ثلاث مناطق جغرافية أساسية منها السهل الساحلي(سهل الحفارة) والسلسلة المنحنية للجبل الغربي، ثم أراضي ما قبل الصحراء المنبسطة بعد الجبل، وقد ذكر سترابون جبالا وسهولا تقع بين السهل الساحلي والصحراء(موطن الجر منت حيث مخازن البضائع الصحراوية[1] ، وقد أسهم الموقع الجغرافي لمدينة الزنتان(ثنتيوس) بدورا مهما وخطيرا في تاريخ المدينة السياسي، وتطورها الحضاري حيث تشغل الركن الشمالي الغربي من الجبل الغربي مما جعلها تتوسط مدن الجبل الغربي شكل(1) وتمثل قديما حلقة وصل بين إقليم المدن الثلاث

وأواسط أفريقيا شكل(2) مما جعلها معبراً لطرق تجارة القوافل البرية بينهما، الأمر الذي جعل الرومان يضعونها هدفاً للسيطرة عليه وذلك بإقامة حواجز وموانع دفاعية لحماية المدن الساحلية من هجمات القبائل الجنوبية التي أقلقت الرومان خاصة قبائل الجر منت وحتى يسهل عليهم السيطرة على الطرق التجارية البرية، ومعرفة مصدر البضائع القادمة من أواسط إفريقيا والمتجه نحو المدن الثلاث، والتي تسيطر عليها قبائل الجرمنت[1].

وتمثل سلسلة الجبل الغربي حدودا طبيعية لمدينة الزنتان، وهي عبارة عن سلسلة جبلية تعرف أحيانا بأسماء محلية منها الجبل الغربي، وجبل نفوسه، وهي تمتد من الشمال الغربي حتى الشمال الشرقي، وترتفع سلسلة الجبل الغربي ارتفاعا تدريجيا إلى الجنوب من سهل الحفارة، ويبلغ أقصى ارتفاعها في مدينة غريان حوالي 850 م تقريباً فوق مستوى سطح البحر وتنحدر انحدارا تدريجيا نحو الجنوب حتى منطقة القبلة[1].

المناخ:

تخضع مدينة الزنتان للمناخ شبه الصحراوي؛ ونظرا لوقوع ليبيا ضمن المنطقة المدارية داخل الكتلة اليابسة الكبرى التي يتكون منها مناخ العالم القديم فإنها ولا شك يتداخل فيها مناخ البحر المتوسط بالمناخ الصحراوي، ولا تستثنى مدينة الزنتان من ذلك المناخ، وقد يسود أحدهما على الآخر في بعض السنوات، وتتأثر المنطقة بدرجات الحرارة المتفاوتة، ويلعب ارتفاع التضاريس وانخفاضها دوراً في ذلك، حيث تساعد الجبال على انخفاض في درجات الحرارة في المنطقة الغربية بأكملها[1] أما بالنسبة للرياح فإن مدينة الزنتان عرضة لعدة أنواع من الرياح أسوة بالمدن الليبية الأخرى، منها الرياح التجارية الشمالية الغربية، أما في فصل الشتاء؛ فتهب الرياح الغربية العكسية التي تسبب في سقوط الأمطار كما تساهم رياح القبلي التي تهب في فصل الربيع وأوائل الصيف إلى إثارة الأتربة والغبار، وإفساد بعض المزروعات[1].

الدوافع التي أدت لقيام الرومان بإنشاء خطوط دفاعية متقدمة:

لم تكن هناك نظم دفاعية أو خطوط واضحة المعالم قبل الأسرة السيفيرية بل كان الرومان يعتمدون على مهاجمة القبائل الليبية التي تقوم بمهاجمة القوات الرومانية في عقر دارهم، وقد كلفهم ذلك خسائر كبيرة إلا أن في عهد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس* تفطن لذلك ربما لدرايته بالقبائل الليبية، وأسلوبها في القتال، وكيفية صدها، وتمكن من إقامة خطوط دفاعية متقدمة عرفت باسم الليمس(Limes)[1] وهي النتيجة التي أتت أوكلها حيث بدأت بحفر الخنادق، ثم تطورت إلى إقامة المعسكرات، وبعدها أنشئت الحصون، ومن أهم الدوافع التي جعلت سبتيموس يقوم بذلك:

أولا / الدوافع الإستراتيجية والعسكرية لإقامة النظم الدفاعية:

1 . محاولة الرومان عزل المناطق الجنوبية عن الساحل، وعدم اتصال القبائل الشمالية على الساحل بالقبائل الجنوبية، وعلى سبيل المثال قبائل الجر منت والنسامونيس، وإقامة مزارع محصنة تكون محمية من الجنود الرومان ، ومنح حلفائهم من الجنود الليبيين بعض تلك المزارع للدفاع عليها، وبذلك تكون هناك انقسامات وصراعات بين الليبيين في الوقت نفسه يتمتع الرومان بخيرات البلاد[1].

2 . استفاد الرومان كثيرا من الفراغنة أثناء صراعهم مع القبائل الليبية، حيث لم يتمكنوا من هزيمة القبائل الليبية التي حاولت الاستقرار في وادي النيل إلا بإقامة خطوط دفاعية متقدمة ومراكز مراقبة؛ لمنع القبائل من التسلل إلى وادي النيل على طول الحدود بينهما[1].

3. تكرار هجمات القبائل الجنوبية على القوات الرومانية في المدن الساحلية على الساحل، وتكبيد القوات الرومانية خسائر فادحة، ومنعهم من التوغل نحو الداخل[1].

4. نجح سبتيموس سيفيروس وخلفاؤه من بعده في إقامة نظام دفاعي قوي حول إقليم المدن الثلاث وحماية القوات الرومانية من هجمات القبائل الجنوبية التي اتبعت سياسة الكر والفر، وتمكن من مراقبتها والسيطرة على الأراضي الزراعية[1].

5 . أقيمت هذه التحصينات بخبرة الفرقة الاوغسطسية الثالثة(Legio iii Augusta)[1] التي كان لها خبرة في إقامة التحصينات الدفاعية. وقد استقر إفرادها في تلك المواقع.

6 . القضاء على الثورات التي قامت ضد الرومان، وتحالفهم مع بعض القبائل، وبالفعل تم تضييق الخناق عليهم بعد إقامة تلك الخطوط الدفاعية[1].

7 . محاولة القبائل الجنوبية مهاجمة المدن الساحلية، وطرد الرومان من تلك المدن؛ لكي يسهل عليم السيطرة على البضائع البحرية[1].

ثانياً / الدوافع الاقتصادية:

قد تكون الدوافع الاقتصادية هي الأهم؛ لإقامة تلك الخطوط لما لها من فائدة تعود على روما بالخير والنفع، وتتمثل في:

1. فترات المجاعة التي مرت بها روما خاصة بعد الحروب الطويلة التي كانت تخوضها بين الحين والآخر وخلال تلك الفترات احتاجت للقمح الغذاء الرئيس للرومان، ولا يتم لروما ذلك إلا بالسيطرة على الأراضي الزراعية في شمال إفريقيا، التي تنتج الغلال بكثرة، وهو ما أوضحته الأدلة الأثرية، ونشر الأمن والاستقرار والتوغل نحو الدواخل، ومنع القبائل من هجماتها على القوات الرومانية في الشمال، وفي سبيل ذلك قامت بإنشاء خطوط دفاعية[1].

2. محاولة روما السيطرة على طرق القوافل التجارية القادمة من أواسط أفريقيا، التي تسيطر عليها قبائل الجر منت ومعرفة مصدر البضائع القادمة من جنوب المدن الثلاث، ومنع قبائل الجر منت من الاستفادة منها الأمر الذي أدى إلى وقوع الصراع بين الجرميين والرومان.

3. حصر القبائل التي تهاجم الرومان، ومنها النسامونيس والجرمنت، ومنعم من رحلاتهم الموسمية، أو الاتصال بينهم لخلق تحالف ضد القوات الرومانية[1] .

كان الرومان يعتمدون في صد أي هجوم من القبائل الليبية على قوات متحركة تتغلغل في الدواخل لاستئصال الخطر لكن هذه الخطوة، لم تأت بنفع على الرومان، بل أنهكت قواتهم، وقد تفطن سبتيموس سيفيروس لذلك؛ ولم يتبع هذه السياسة بل وضع نظام دفاعيا ثابتا للدفاع عن المدن الساحلية، وتشير نقوش قصر ذويب التي تعود إلى القرن الثالث الميلادي(Praepositus Limitis Tripolitanae) إلى وجود تحصينات عسكرية؛ لحماية إقليم المدن الثلاث تتعلق بقطاع من الحدود يقع على شكل خط مستقيم من الزنتان حتى أبونجيم[1].

وقد نجح الإمبراطور سبتيموس في ذلك ومنها النظم الدفاعية في منطقة الزنتان، والتي سيتم التركيز عليها وأهمها:

قصر سانية ذويب (Edref near Zintan).

تقع سانية ذويب أو ما يعرف بقصر ذويب شكل(3) وأحياناً وادي ذويب في منطقة أدرف قرب الزنتان**(ثنتبوس Thenteos)***[1] وعلى تل صغير قرب وادي ذويب، وهو رافد أيمن ونقطة التقاء مع وادي سوف الجين، وليس هو الوادي الوحيد بل هناك أودية أخرى على جانبي القصر حسب ما رواه الأهالي منها وادي مرموثة ووادي أم القذف، وجلها أودية صالحة للزراعة، وقصر وادي ذويب هو نفس تصميم قصر وامس الذي لا يبعد عنه كثيرا حيث يصل بين

القصرين وادي الغبي، ويقعان على مكان مرتفع عن الوادي، وجل هذه الأودية تلتقي في وادي سوف الجين ويبدو أن الفرقة التي شيدت قصر ذويب هي نفسها التي شيدت قصر وامس، وهذا بالتأكيد بعد زيارة القصرين على عين المكان، وقد اعتاد الرومان على بناء القصور والحصون، على الأودية، لغرض الاستفادة من مياه الأمطار الشتوية وتخزينها[1] ،وربما كان للكتيبة السورية المختص في هذا المجال والمتمركزة في أور(العوينية) دورا في تشييد بعض الآبار قرب سانية ذويب[1] (شكل4) التي لا زالت موجودة على حافة وادي ذويب وتشير الأدلة الأثرية إلى أن بناء هذا القصر قد تم في عهد الأسرة السيفرية حيث تؤكد أن هناك نظام دفاعي على طول المنطقة الحدودية بالزنتان قبل تسريح الفرقة الأوغسطية الثالثة عام 238 التي يرجع لها الفضل في تشييد هذه القصور والحصون وربما كان التاريخ الذي يشير إلى البناء بعده كان إعادة ترميمه وبنائه من جديد[1] في حين تشير النقوش التي وجدت على أحجار متناثرة حول القصر(5) إلى تاريخ قديم ربما إلى إنشاء قلعة بونجيم،وهي مبنى عبارة عن قصر روماني يحمل صفات القصور والحصون الرومانية، التي أقيمت على المسافة بين الزنتان، وحتى القريات، التي تمثل خطوط دفاعية ومراقبة؛ لحماية المدن الساحلية من هجمات القبائل الجنوبية وفي مقدمتها قبائل الجر منت ومن هنا نستدل على التواجد الروماني في المنطقة وخلال عصور مبكرة، وقد تم تشييده في عهد الإمبراطور الروماني فيليب الحوراني، وهو عبارة عن موقع يمثل حصن رئيسي، ربما أعيد بنائه خلال القرن الثالث الميلادي، ويوجد بالقرب منه آبار للمياه، وقد حرص الرومان على إقامة تلك القصور والقلاع على الأودية لتزويد القوات الرومانية بالمياه خاصة الفرقة الاوغسطسية الثالثة، ويشير ما تنغلي إلى أن هذا الموقع له إبعاد عسكرية، وذلك بسبب موقعه الاستراتيجي، وقد أشار موقع قصر ذويب إلى التواجد الروماني في منطقة الزنتان التي كانت ذات موقع حيوي وحلقة وصل بين الجنوب والشمال، ويتكون القصر من عدد من الغرف التي تتجمع حول الفناء المركزي وهو يشبه إلى حد كبير قصر وامس الذي يقع في قرية وامس ، وسنقارن بين القصرين، لأن اختيار الموقع والأودية ووجود آبار المياه واحد وأيضا وجد داخل القصر سلم للصعود إلى الطابق العلوي، وفي الأعلى يوجد برج ربما كان لغرض المراقبة، وعلى بساطة المبنى إلا انه يبين لنا تواجد الرومان في منطقة الزنتان، وتشير الأدلة على إن حجم قلعة ذويب على أنها أكثر أهمية من قلعة أبونجيم وربما كانت مقرا للقيادة الرومانية[1].

حصن القريات الغربية (Alghheriat Elgarbia)*:

يقع حصن القريات الغربية قرب الطرف الشرقي للحمادة الحمراء على مرتفع على حافة الحزام الصحراوي الليبي(6) وله أهمية كبيرة حيث يتحكم في طرق تجارة القوافل التجارية البرية القادمة من فزان وأواسط إفريقيا نحو المدن الثلاث والعكس[1]

ويعد حصن القريات الغربية مصدراً مهماً للتزود بالمياه واستراحة للمسافرين وللحيوانات، حيث توجد عين ماء بجانب الحصن لذلك كانت هذه المنطقة محل اهتمام الرومان؛ لإنشاء الحصن ومقر عسكري حول القلعة شكل(7) وبرج مراقبة واتخاذه أهم الخطوط الدفاعية ومن المرجح أن الحصن قد تم تشييده في عهد الأسرة السيفيرية، لأن جل الخطوط والحصون الدفاعية قد تم تشييدها أيام تلك الأسرة، وتشير المراجع إلى أن تشييد هذا الحصن قد تم في عهد أبن سبتيموس لاسكندر سيفيروس وأن الفرقة الاوغسطية الثالثة هي من قامت بتشييده لما لها من خبرة في هذا النوع من الحصون، ويبدو أن لاسكندر سيفيروس قد استعان بالجنود الليبيين المتقاعدين من الخدمة العسكريين، للبقاء في هذه القصور والحصون والدفاع عنها مقابل منحهم قطع زراعية وإعفائهم من الضرائب[1] وتشير بروقان إلى أن هذا

النوع من المزارع هو النظام الوحيد الذي أدى إلى وقف هجمات القبائل الجنوبية خلال العصر الروماني ومن خلال معاينة حصن القريات الغربية تبين إأن هذا الحصن له عدة بويات شكل(8) يتقدمها باب رئيسي وبوابة أساسية حتى يشعر المارة بهيبة الحصن حيث تحتوي البوابة على أبراج للمراقبة شكل(9)العديد من الأقواس كان الغرض منها الزينة وكتابة الشعارات وصور الإمبراطور الى جانبة وجود بوابة من الناحية الغربية(10) لمراقبة تحركات القبائل ويوضح شكل(11) احدى البوبات المتهالكة، وهكذا حرص الرومان على تضييق الخناق على هجمات القبائل التي أصبحت تحركاتها في مسافات ضيقة ومن اللافت للنظر وجود بئر ماء(12) للتزود بالماء كما في قصر ذويب[1].

لقد تأكد أن الغرض من إقامة تلك القصور والحصون لوضع المنطقة تحت رحمة الرومان وتدل دلالة واضحة على التواجد الروماني في مناطق الجبل الغربي، واتخاذه خطوط دفاعية على شكل قوس، لحماية المدن الثلاث والتمتع بخيرات الأراضي الزراعية بعد نشر الأمن والاستقرار والسيطرة على الأراضي الزراعية إلى جانب السيطرة على طرق القوافل البرية الصحراوية[1] ، ولا يوجد فرق بين حصن القريات الغربية والشرقية؛ لقرب المسافة بينهما، والهدف واحد لدرجة يمكن الاتصال بين القلعتين بالإشارة بين المغافر الرومانية؛ لأن أبراج حصن القريات الغربية يمكن رؤيته بوضوح من حصن القريات الشرقية[1].

قصر وامس:

يقع هذا القصر في نهاية قرية وامس على وادي متسع عرف بوادي وامس شكل(13) ويعود هذا القصر إلى العصر الروماني، ومن المرجح أنه كان مركزا عسكريا، وتقدر مساحته بحوالي ثلاثة عشر مترا من الخارج، ويحتوي الموقع على ثلاثة طوابق آخرها برج ربما كان للمراقبة، ولا تزال بعض الغرف موجودة ،وهناك سلما بالقرب من داخل المدخل استخدم في الصعود إلى السطح والمبنى محاط بخندق انهار جزء منه، ربما بفعل العوامل الجوية، والعبث به من قبل الإنسان، ومحاط أيضا بسياج خارجي.

ولا يوجد تاريخ محدد لبناء هذا القصر ولكن يبدو أنه مشابه لقصر ذويب الذي يقع إلى الغرب من قصر وامس وله نفس المواصفات ولا يبعد كثيرا عن هذا القصر ويبدوا ان هناك تعاون كبير بين القصرين ويعد قصر وامس موقعا عسكريا ويقع على وادي ذويب لذلك كانا القصران يؤديان نفس الغرض[1].

ومن خلال الزيارة الميدانية لهذه المواقع يلاحظ أنها شيدت على جانب الأودية الزراعية، وأنها تمتد على خط واحد، وتمر بها طرق مختلفة الاتجاه منها ما هو واضح المعالم، والبعض الآخر اندثر بفعل العوامل الجوية.

نستنتج أن هذه المواقع قد نفذت من متخصصين في بناء القلاع وأنها متشابه في كونها وضعت على أماكن مرتفعة، وعلى الأودية، وربما تكون هذه القلاع قد خطط لها قبل السيطرة على المناطق الغربية، وبدراسة علمية ،وأثمرت هذه القلاع على وقف هجمات القبائل، والثوار نحو المدن الثلاث.

لقد أقام الرومان هذه الحصون بشبكة من الطرق كان أهمها الطريق الممتد من تاكابي حتى لبدة، ويذكر الدليل الانطونيني أهم المحطات على هذا الطريق، منها : مدينة دوغة، وعين ويف، والصلاحات، والاصابعة، والعوينية، والزنتان[1] وهناك طريق أيضاً يمتد من ثينتيوس حتى هضبة غريان وترهونه ويتجه نحو المدن الساحلية،[1] وجل الطرق الطرق العسكرية عبر هذه التحصينات تربط بين القلاع والحصون أما الطرق الفرعية الأخرى فهي تربط بين المدن بعضها ببعض، والطريق الأهم الطريق الرئيسي عبر الجفارة والجبل والمسمى بالطريق المركزي أو طريق الجبل يلتقي هذا الطريق في مزدة مع طريق آخر قادم من الشمال الغربي، بحيث يتشعب طريق أعالي سوف الجين من طريق

التخوم في الزنتان، ويبدو أنه ينتهي في مزدة، وهو مهم من الناحية العسكرية، ومن المرجح أن نقطة تقاطعه في الزنتان ومزدة كانت موقعين لحصنين لعسكريين رومانيين[1].

توصلت هذه الدراسة إلى عدة نتائج وتوصيات منها:

أولاً .. النتائج:

- أصبح وجود الحصون والقلاع الرومانية سبباً في ازدهار المدن الثلاث خصوصاً مدينة لبدة الكبرى التي شهدن نهضة معمارية بسبب الأموال التي تحصلت عليها من ازدهار تجارة القوافل البرية الصحراوية والسيطرة عليها على اعتبار أن لبدة هي مسقط رأس الامبراطور سبتيموس سيفيروس.
- كان الدافع الأساسي لإقامة الحصون والقلاع دافعا اقتصاديا بالدرجة الأولى، ثم يأتي بعده الدافع العسكري الذي كان الغرض منه حماية المدن الثلاث من هجمات القبائل الجنوبية ،وفي مقدمتها قبائل الجر منت ونشر الأمن والاستقرار في المدن الساحلية.
- سيطرة الرومان على الأراضي الزراعية والاستفادة منها من حيث تسليمها للموالين لهم من الجنود المسرحين من الخدمة العسكرية، والموالين للرومان الذين مهمتهم الدفاع عن تلك الأراضي مقابل إعفائهم من الضرائب وتسليمهم بعض المواشي.
- أصبحت الحصون والقلاع الرومانية الموجودة على خط واحد من الجنوب والغرب إلى الشرق بمثابة موروث ثقافي يدل على حضارة كانت موجودة في المناطق التي وجدت فيها ويؤكد التواجد الروماني في تلك المناطق التي وجدت فيها.
- يدل التواجد الروماني، وقيامه بإنشاء المراكز الدفاعية المتمثلة في الحصون والقلاع على مقاومة القبائل الجنوبية والغربية للرومان في المدن الثلاث بعد تدمير قرطاجة 146 ق.م.
- تمثل الحصون والقلاع التي أنشأها الرومان في الزنتان حماية لإقليم المدن الثلاث وهو الحد الأقصى للمناطق التي احتلها الرومان بأفريقيا.
- كان الهدف الاقتصادي المهم هو معرفة مصدر البضائع الصحراوية، والاستفادة من ذلك، وكان الجرمنتيون على دراية بتلك المناطق، ولذلك حرص الرومان على مسالمتهم، وأقاموا مراكز دفاعية متقدمة لكي يسهل مراقبتهم .
- يلاحظ على حصون وقصور القرن الثالث التي أقامها الإمبراطور سبتيموس سيفيروس بأن بعضها اتخذ الشكل المستطيل، ويوجد عليها أبراج مراقبة ، وليس بها أسوار مما يعلل إنها وضعت للمراقبة، وليس للدفاع عن تلك الحصون مع وجود البوابات.

ثانياً..التوصيات:

- المورث الثقافي المتمثل في الجانب الأثري في الجبل الغربي عامة والزنتان خاصة يحتاج إلى وقفة خاصة وجادة بسبب الإهمال والدمار بفعل الإنسان والعوامل الجوية.
- توفير الإمكانيات الى إعادة ترميم المواقع الأثرية وربطها بشبكة التواصل الاجتماعي الانترنت.
- توفير الإمكانيات لمكاتب السياحة في المنطقة حتى يستطيعوا تقديم المعلومات إلى الباحثين والسياح لمعرفة المواقع الاثرية في الزنتان وغيرها.

- طبع كتيب يتناول المواقع الأثرية والخرائط لها خاصة في وجود العديد من المواقع الأثرية الممتد من غدامس وحتى اقليم المدن الثلاث على الساحل.

قائمة المصادر والمراجع:

(1) الزاوي، أحمد الطاهر (1968)، **معجم البلدان الليبية**، مكتبة نور، طرابلس، ط1، ص ص 78، 144، 145.

(1) روجز كريستون (1979)، **ترجمة د- عماد الدين غانم، الرومان والصحراء الكبرى، (الصحراء الكبرى)**، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص195.

(1) Strabo, 5, 26. 38. 35.

(1) منصور علي سعد(2006)، النمو السكاني في منطقة الزنتان وأثره على استهلاك المياه، رسالة ماجستير **(غير منشوره)**، جامعة طرابلس، ص17.

(1) محمود محمد الصياد(2010)، **معالم جغرافية الوطن العربي**، مج 1، جامعة تورنتو، ص174.

(1) طريح عبد العزيز شرف (1971)، **جغرافية ليبيا**، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط2، ص93.

(1) ماتينغلي (2009)، **ترجمة د- محمد الطاهر الجراري، محمد عبد الهادي حيدر، منطقة طرابلس في العهد الروماني**، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ، ص60.

* إمبراطور ليبي حكم من(193 ـ 211 م) ولد في لبدة (145م) أخضع القبائل الليبية في الغرب والحد من خطورتها بإقامة الحصون والقلاع الدفاعية لحماية المدن الثلاث وطرق القوافل الصحراوية عرفت باسم التخوم الطرابلسية وتمتد على هيئة قوس من قابس بتونس ويلتف من غدامس وحتى لبدة الكبرى ينظر : المحجوب عبد المنعم (2018)، **ليبيا القديمة**، دار الاتحاد للنشر والتوزيع، تونس، ص187.

(1) أختلف المؤرخون في كلمة الليمس فمنهم من رأى أنها الحد الذي يقسم بين الإمبراطورية الرومانية وجيرانها في حين يرى البعض أنها تعني تلك النظم الدفاعية والحصون والقلاع التي أنشأها الرومان لوقف زحف القبائل الليبية وأعدائهم من غيرهم. أندريه شارل جوليان، ت، محمد مزالي وعلي أبو سلامه .1985 م . تاريخ أفريقيا الشمالية ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ص184.

(1) الطاهر محمد الجراري (1984)، الاستيطان الروماني في ليبيا ،منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الايطالي، **مجلة الدراسات التاريخية، العدد 3، ص17.**

(1) Gardener, New Literary Works Ancient Egypt, J.E.A VI, P270.

(1) الطاهر محمد الجراري (1988)، موالروماني، الليبية من الحكم الروماني، **مجلة البحوث التاريخية، العدد الثاني، ص6 وما بعدها.**

(1) ماتنغلي ، مرجع سابق ، ص ص 161 ـ 236 .

(1) نشأة هذه الفرقة بعد الاتفاق بين أوغسطس (اوكنافيوس) وبين مجلس الشيوخ الروماني على أن تبقى الولايات التي لا تحتاج إلى دفاعات عسكرية تحت أمرة مجلس الشيوخ أم التي تحتاج إلى تحصينات وقوات عسكرية فتولى أمرها أوغسطس ونتيجة لذلك أصبحت شمال أفريقيا تحت قيادة أوغسطس الذي أسس لها فيلق خاص وفرقة خاصة عرفت باسمه وحملت اسم (الفرقة الاوغسطية الثالثة) ينظر: هاينز . د . ا . ل : ت، عديله حسن مياس . 1965.أثار طرابلس الغرب(دليل أثري وتاريخي لما قبل العصر الإسلامي) ، مصلحة الآثار ، طرابلس، ص27 .

(1) حول قلاع وحصون الفرقة الأوغسطية الثالثة ينظر: ر. ج. جود تشايلد: ت . عبد الحفيظ المير، أحمد اليازوري، 1999 دراسات ليبية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص93 وما بعدها .

(1) كمال مصطفى عبد العليم. 1966 م. دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية بنغازي، ص 100 وما بعدها.

[1] محجوبي عمار . 1985م . (تاريخ أفريقيا العام) مج2 ،جين أفريك ، اليونسكو، ص444.

[1] عبد الحفيظ فضيل الميار، من نقائش الحدود الرومانية في ليبيا ، مجلة تراث الشعب ،العددان الثالث والرابع، ص196.

[1] كنريك فيليب . 2015م. دليل المواقع الأثرية في ليبيا (إقليم المدن الثلاث)، جمعية الدراسات التاريخية، ص5 .

[1] الاسم القديم للزنتان كما أشار إليه ماتنغلي ، مرجع سابق ، ص605.

[1] هاينز ، مرجع سابق ، ص133.

[1] المرجع نفسه ، ص 254.

[1] جمعه أبوبكر الغابر . 2012م. النظم الدفاعية في عهد الأسرة السيفيرية، منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2012 ، ص132.

[1] ماتنغلي، مرجع سابق، ص ص 246، 247.

* تمثل القلعة الثالثة في خط الدفاع السيفري وهي قرب الطرف الشرقي للحمادة الحمراء في موقع جغرافي مهم يتحكم في طرق القوافل الصحراوية المتجه من والى فوان وتشبه قلعة أبونجيم ولكنها أكثر اتساعاً وأهمية. المحجوبي عبد المنعم، مرجع سابق، ص 258.

[1] هاينز، مرجع سابق، ص124.

[1] نفسه، ص27...

[1] السيد مها محمد. 2008م. الحصون والحصينات الدفاعية في شمال أفريقيا في العصر الروماني، مكتبة الإسكندرية، ص331 .

[1] الميار عبد الحفيظ فضيل.2001م. الحضارة الفينيقية في ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2001، ص362، 414.

[1] ماتنغلي، مرجع سابق ،ص 269 .

[1] حول القصور الرومانية على حدود الزنتان ينظر كنريك، مرجع سابق، ص196 وما بعدها.

[1] هاينز، مرجع سابق، ص120.

[1] ماتنغلي، مرجع سابق، ص189.

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ملحق بالخرائط والصور

شكل(1) موقع الزنتان بالنسبة للمدن المجاورة.

شكل (2) موقع الزنتان بالنسبة لاقليم المدن الثلاث والجبل الغربي

شكل(3) قصر ذويب على تل مرتفع يطل على وادي ذويب

شكل(4) بئر ماء بجانب قصر ذويب ويرتبط بنفق مع القصر وذلك لتخزين المياه

شكل(5) احد الن التي وجدت متناثرة في قصر ذويب ربما تشير إلى تاريخ إنشاء القصر
(تصوير الباحث).

شكل(6) قصر القريات الغربية متهالك رغم الترميم الواجهة الأمامية